الملك عبد العزيز وقضية فلسطين

خطة التهجير التي آلت إلى الرفض(*)

الدكتور جون حبيب
جامعة مريلاند بالويالات المتحدة
وأستاذ مشارك بجامعة الأخوين إفران - المغرب

جاء في المذكرة التي أرسلها وزير الخارجية ستيتنيوس إلى الرئيس الأمريكي روزفلت عام ١٩٤٥م أن تصريح ابن سعود " بأنه ينظر إلى نفسه بطلاً مثل عرب فلسطين، وأنه يشعر بالفخر لو يموت في المعركة في سبيل قضيتهم " لهو التصريح الأعظم من حيث المعنى أو المغزى(١).

ومع تكشف وتوالي الأحداث الدموية التي تتكرر مراراً في فلسطين هذه الأيام نجد أن آراء الملك عبد العزيز بخصوص قضية فلسطين هي صالحة اليوم كما كانت صالحة عندما أعرب عنها شخصياً إلى رئيس الوزراء ونستون تشرشل، وإلى الرئيس الأمريكي فرانكلين روزفلت، وهما القائدان الأكثر نفوذاً في العالم الغربي في ذلك العهد.

(*) قدّم نص هذا البحث في الأصل باللغة الإنجليزية، وقام بترجمته إلى اللغة العربية لمجلة الدارة الدكتور عاطف فالح يوسف من كلية اللغات والترجمة بجامعة الملك سعود .

(1) Foreign Relations United States, Vol. VIII, 1945, Memorandum by the Secretary of State to President Roosevelt, p. 679.

في محادثات له مع مبعوثي هذين الزعيمين، وفيما بعد في محادثات منفصلة مع كل واحد منهما على حدة رفض الملك عبدالعزيز الذي كان يتحدث مثل أي شخص له وجهات نظر قوية بخصوص قضية فلسطين، وبصفته رئيس دولة، ومدركا لمسؤولياته الجسام في العالمين العربي والإسلامي بشكل قطعي أي اقتراح بأن يكون طرفاً في أي خطة قد يكون فيها مساومة على الحقوق الثابتة للشعب الفلسطيني. وفي أثناء تحدثه بوصفه إنساناً سياسياً واقعياً حذراً - في حديث مباشر خال من المواربات الدبلوماسية - من أن أية محاولة لحل مشكلة اللاجئين اليهود والأوروبيين على حساب الفلسطينيين يمكن أن تحول منطقة الشرق الأوسط السلمية إلى منطقة عنف وقلاقل لا نهاية لها. واليهود في نظر الملك عبدالعزيز أناسٌ وهبوا حقوقاً ثابتة غير قابلة للتحويل، وكان يشير إليهم على هذا النحو في مغايرة علنية للقادة الغربيين الذين كانوا جميعا ينظرون إلى اليهود على أنهم شعب يستحق العطف والعون وأن قضيتهم مشكلة تحتاج إلى حل. عندما سأله الرئيس روزفلت عن رأيه ومشورته بخصوص المشكلة اليهودية أجاب الملك: " ليعوضوا عن خسارتهم بأفضل الأراضي الموجودة في الأمم المهزومة التي اضطهدتهم، دعهم يرجعون إلى ديارهم هناك ليعيشوا في سلام وأمان"(٢).

وبدلا من الاستماع لمشورته تآمر الزعيمان الغربيان لإيقاعه أو توريطه في خطة تهدف إلى إخلاء فلسطين من سكانها العرب وتسليمها إلى اليهود. ومن جراء ذلك اندلع العنف في منطقة الشرق الأوسط، واستمر سعيره إلى يومنا هذا كما سبق وحذر الملك عبدالعزيز.

(2) Foreign Relations United States, "Memorandum of Conversation Between the King of Saudi Arabia and President Roosevelt, vol. 8, pp.2-3.

بدأت جهود الملك عبد العزيز في تجنب حدوث أزمة رئيسة في فلسطين منذ عام ١٩٣٨م، وكان ذلك عندما كتب إلى الرئيس روزفلت معربا عن قلقه الكبير حيال تردي الوضع في فلسطين الذي سببته الهجرة اليهودية المفرطة إلى هناك. وصف الدكتور عيسى بيتر تلك الرسالة بأنها أول رسالة يكتبها رئيس دولة عربية إلى رئيس أمريكي بخصوص فلسطين، وقال: " إنها كانت بمثابة عرض بارز للقضية العربية، وإنها عكست المبادئ الإسلامية التي ترتكز على القرآن والسنة"(٣).

وفي أواخر عام ١٩٤٨م حاول الملك أن ينزع فتيل الأزمة بأن كتب إلى الرئيس ترومان الذي عين رئيساً تنفيذياً للولايات المتحدة الأمريكية يذكّره برأي الرئيس روزفلت الخطي، وأن عليه ألا يقوم بأي عمل يمكن أن يؤثر بشكل سلبي أو يضر بحقوق العرب دون أن يتشاور أولا مع العرب. لكن الرئيس ترومان لم يحافظ على شرف هذا الالتزام.

إن الشيء الذي لا يعرفه الكثير هو أن الملك عبد العزيز رفض الاعتراف بخطة كان ونستون تشرشل وفرانكلين روزفلت قد استنبطاها ليقنعاه شخصيا بمقابلة الزعيم الصهيوني حاييم وايزمان، وذلك لحل المشكلة اليهودية الفلسطينية على أساس ما يعرف باسم خطة فيلبي. أثارت المفارقات التاريخية مثل التواريخ والأماكن والأوقات وحتى العبارات الموجودة في خطط متنوعة شكوكاً بأنه لم يكن أصلا الشخص الذي تراءت له تلك الخطة.

في بداية الثلاثينيات تمكن الصهاينة الأمريكيون الضاغطون من التأثير في الرئيس روزفلت، وكان من بين هؤلاء اليهود قاضي المحكمة العليا برانديس الذي يمكن أن يكون مسؤولا عن استعمال

(3) Peters, Issa, The Institute of Arabic and Islamic Sciences in America, Symposium 1999, abstract of paper on Abdel Aziz's letter to Franklin Roosevelt on Palestine, 1938.

الألفاظ النابية عند الإشارة إلى العرب. تغير هذا التصرف بشكل درامي بعد أن تقابل مع الملك عبد العزيز على ظهر السفينة الأمريكية كوينسي في عام ١٩٤٥م. وعندما وقف أمام اللجنة المشتركة للكونغرس الأمريكي في مؤتمر يالطا ذكر الرئيس روزفلت بأنه قد تعلّم المزيد عن فلسطين من خلال تحدثه مع الملك عبد العزيز لمدة خمس دقائق أكثر مما تعلم من خلال تبادل العديد من الرسائل، وقد أخذ الرئيس روزفلت عن الملك عبدالعزيز انطباعاً طيباً، ووصف لقاءه معه بأنه الحدث البالغ في حياته[٤]. ولو أن الرئيس لم يمت بعد مدة وجيزة من لقائهما لكان من المحتمل جداً أن يتغير الموقف أو التصرف الأمريكي الرسمي تجاه فلسطين.

وقد أخذ الرئيس روزفلت عن الملك عبدالعزيز انطباعاً طيباً، ووصف لقاءه معه بأنه الحدث البالغ في حياته

من ناحية أخرى كان ونستون تشرشل صهيونيا ملتزما متشدداً. وكان شخصا على عداء وكراهية غريزية فطرية للعرب والمسلمين. في حين كانت لقاءات الملك عبدالعزيز مع الرئيس روزفلت ودية وغير رسمية، وكانت لقاءاته مع تشرشل رسمية ودقيقة. كان الملك عبدالعزيز والرئيس روزفلت يتحدثان إلى بعضهما كما يتحدث الأصدقاء. وعندما كان تشرشل يتحدث إلى الملك بأسلوب يتميز بالتظاهر والتعالي كان الملك يرد عليه بحزم وأناقة.

وعلى العكس من الادعاءات الصهيونية بما فيها الادعاءات التي تقدم بها حاييم وايزمان من أنهم أرادوا أن يعيشوا بسلام مع العرب كالجيران، إلا أن النوايا الحقيقية للصهاينة كانت تهدف إلى طرد العرب، ومصادرة أراضيهم، وإنشاء دولة يهودية مستقلة ومتجانسة في فلسطين.

(4) FRUS, Vol. VIII, 1945, page 8.

تزخر السجلات الصهيونية الأولى بخططهم المدروسة والجادة لتحويل فلسطين إلى دولة يهودية تماما كما هي بريطانيا دولة إنجليزية، وذلك بإبعاد العرب عن طريق الإقناع حيناً، أو عن طريق الحوافز والمغريات المالية، أو إن أجدت عن طريق التدخل الشخصي، أو عن طريق مجموعة من هذه الصيغ مجتمعة مهما كلف ذلك من جهد ومال.

كانت هناك خطط تهجير عديدة، وكان بعضها من استنباط اليهود، وكان بعضها الآخر من استنباط غيرهم. تم التعبير عن بعض هذه الخطط بالطريقة الشفوية، وبعضها الآخر عُبِّر عنه كتابةً. ويمكن أن تكون أول خطة تهجير تلك التي جاء بها ناخمان سيركن، وهو من أصل روسي تقدم بخطته في عام ١٨٩٨م. واقترح الصهاينة الروس، ومنهم الدكتور آرثر روبن وأكيفا إينجر مخططاتهما، وذلك في عام ١٩١٤م. وفي عام ١٩١٨م أعرب الرئيس الأمريكي السابق هربرت هوفر عن خطته في شهر يوليو (تموز) من عام ١٩٢٤م، وذلك في حديث على الهاتف وجهه إلى المؤتمر المنعقد بخصوص موضوع إنقاذ الشعب اليهودي في أوروبا الذي عقد في مدينة سان فرانسيسكو. هذا وقد تم إعداد مقترحات الرئيس روزفلت في محادثة أجراها مع السفير البريطاني، ومع أعضاء آخرين من إدارته، وذلك في عام ١٩٣٨م، وفي مناسبات أخرى تلت ذلك التاريخ. وأيضاً فقد أعدّ الرئيس التشيكوسلوفاكي الدكتور إدواردو بينز خطة أعلنها على الملأ عام ١٩٤٦م[٥].

نجمت ضرورة تهجير العرب بفعل التصرف الأمريكي والبريطاني المحموم الشره تجاه العرب والذي لم ينظر لا للعرب ولا إلى مطالبهم

(5) Simon, Chaim, Rabbi, A Historical Survey of Proposals to Transfer Arabs From Palestine 1895-1947, Kiryat Araba, Israel, Section 2, Proposals by Individual Non-Jews, Benes.

بأي شيء من الجدية. وتبعاً لذلك كان ما ينظر إليه على أنه أمر سياسي كان في الواقع خليطاً أو مزيجاً متلاحقاً من القرارات المتسارعة والمتضاربة التي تخدم هذا الغرض بالذات. لم يدل الرأي الجماهيري على أن الأمريكيين والبريطانيين كانوا ينظرون بجد إلى أي ادعاء عربي سواء أكان مستندا على القانون الدولي، أم على الأخلاق، أم على العدل، أم على مصالحهم الوطنية الخاصة بهم. لقد كان التصرف السائد هو أنه عاجلا أم آجلا سيتم شراء العرب بالمال، أو بالتملق والمديح، أو بكلا الأسلوبين. ومن هنا كانت سهولة التخلص من معارضة الشارع العربي لتهويد فلسطين مثل سهولة التخلص من وميض نار في مقلاة. عهد الرئيس الأمريكي روزفلت بتقرير من هذا النوع تقدم به أحد كبار مستشاريه إلى سلة النفايات متبعا ذلك بتعليق مفاده أن العرب سيتخلون عن فلسطين مقابل "بقشيش زهيد"(٦).

وهكذا كان ينظر إلى فلسطين بوضعها العربي والإسلامي المعاصر آنذاك. بمعنى أنه كان ينظر إليها على أنها أرض فقيرة غير نامية قد قدت من الإقليم العثماني الذي تم تحريره من قبل الحلفاء. إن مجمل تاريخ فلسطين منذ تدمير المعبد عام سبعين من الميلاد، وحتى انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول في بال بسويسرا عند نهاية القرن التاسع عشر تم طمسه من التاريخ وكأنه لا يمت للموضوع بصلة. وهكذا تم وبسرعة التخلص من المراحل التاريخية الديناميكية الداخلية الخاصة بعهود التلاحم العربي المسيحي الإسلامي على الرغم مما كانت تحويه هذه العهود من إمكانيات من أجل السلام والحرب. لم يكن هذا الشيء زيفاً. فتلك هي الطريقة التي نظر الغرب بها بالأمس إلى عرب الشرق، وتلك هي الطريقة التي ينظرون بها اليوم إليهم.

(6) Ibid., Roosevelt.

ولكونهم مرتاحين جذلين لما جاء في الحملات الإعلامية الصهيونية التي وصفت فلسطين على أنها أرض بلا شعب لشعب بلا أرض، وجذلين أيضا لما جاء به الأصوليون المسيحيون من أنها إرادة الله بأن تكون تلك الأرض هي أرض الشعب المختار، وجذلين كذلك للشعارات التي أطلقها الصهاينة التي وعدت بأن تجعل بفعل تضافر القوة الفعلية العربية مع رأس المال اليهودي، ومع فكره العقلاني من الصحراء أرضاً مزدهرة نجد أنه على هذا المنوال وزن صانعو القرارات في الغرب مصير العرب ومصير اليهود على حد سواء، ووضعوه في ميزان مصالحهم الوطنية واثقين من أن ما كانوا يعرفونه كان هو الحق لهم ولمن هم على شاكلتهم. وعندما تنبهوا للحقائق كان الصدام العربي اليهودي قد حدث ولا رجعة عنه. كان تعداد السكان العرب قد ازداد بعيدا عن كل التوقعات، وذلك في المدة ما بين الحربين العالميتين. وقد أحدثت الهجرة اليهودية تغييرات سكانية (ديمغرافية) خارجة عن حدود السيطرة، وقد أدت بدورها إلى حدوث اضطرابات اجتماعية وأزمات اقتصادية. ساعد شراء الصهاينة للأراضي على زيادة عدد المزارعين الفلسطينيين الذين أجبروا على ترك أراضيهم على الرغم من احتفاظ أجدادهم بصكوك ملكيتها قروناً عدة من الزمن. ولكونهم مشردين بلا أرض ولا مأوى انضموا إلى صفوف العمال الفلسطينيين هذا من غير المزارعين الذين أصبحوا عاطلين عن العمل، أو الذين لم يستطيعوا الحصول على العمل بسبب سياسة العمل الصهيونية التي حظرت رسمياً تشغيل العمالة العربية. أصبح هؤلاء العمال والفلاحون هائمين في أرجاء فلسطين كافة، وكانوا بمثابة موجة بشرية متلاطمة تتخبط وسط سعي ميؤوس منه لإيجاد وطن أو للحصول على عمل. وقبل أن يتم تصنيفهم شرعاً على أنهم لاجئون أصبح الآلاف منهم بعد أن كانوا يعيشون في الأمس على الاكتفاء الذاتي أصبحوا اليوم لاجئين مشردين ذوي وجود بشري لا قيمة له في وطن أجدادهم وآبائهم.

زادت هذه الظروف حالة العنف المتأصل بين العرب واليهود. تمكن الزعماء الصهاينة من إقناع الكونغرس الأمريكي بشكل لا يمكن إضعافه، فجاءت ردة فعل الكونغرس الأمريكي على ذلك بأن صادق على إنشاء دولة يهودية في فلسطين، وطالب بدخول المزيد من اليهود الأوروبيين إليها. وفاقم دخولهم في فلسطين من حدة تشريد الفلسطينيين وطردهم، وبدأت دورة العنف المفرغة تأخذ حياة خاصة بها.

ولأننا شاهدنا النازيين وهم يفككون قروناً طويلة حياة اليهود وثقافتهم في أوروبا، وقف القادة الغربيون ينظرون بعيون خبيرة من نوع مماثل إلى الصهاينة وهم يفككون أربعة عشر قرنا حياة العرب وثقافتهم في فلسطين. وزن البريطانيون والأمريكيون مصير كل من اليهود والعرب في ميزان مصالحهم الوطنية بالشكل الذي يحددونه هم أنفسهم، فكان اليهود في أوروبا هم المشكلة، وكان العرب في فلسطين هم الحل لتلك المشكلة. فلنرسل المشكلة إلى هناك لتكون حلاً لها. وهكذا انقضى أربعة عشر قرنا بلمح البصر. لم يعتمد الصهاينة هذه السياسية فحسب، لكنهم أيضا صعدوها لدرجة أنهم اقترحوا التعاون مع النازيين.

ولأن روزفلت وتشرشل سايرا الظروف وِفْقًا للتيار، لذلك عمدا إلى التعقل في إتمام الحل. إن إنشاء دولة يهودية في فلسطين كان أمرا محتوما، ولو أن اليهود أعطوا نصف المطلوب لقاموا بقوة السلاح بتهجير العرب على الرغم من كل الاختلاف السياسي الذي يمكن أن يحصل نتيجة لذلك. ولذا تم تطبيق خطة التهجير بأسلوب سلمي تفادياً وتجنباً لما قد يحدث فيما لو كان بقوة السلاح. لكن الأمر تطلب مصادقة زعيم محترم على الصعيد العالمي له مصداقيته في العالم العربي والإسلامي، وكان الزعيم العربي الوحيد الذي يتمتع بهذه المصداقية هو الملك عبدالعزيز.

في المشرق العربي تحولت الزعامة العربية السورية الواعدة إلى اندثار بفعل الغزو الفرنسي، وتقسيم بلاد الشام إلى دويلات. فقد تم تعيين الحكام الهاشميين في العراق والأردن، وكان تعيينهم من قبل البريطانيين وكانا يتمتعان بمصداقية بسيطة داخل المناطق الخاضعة لحكمهما، وأقل من ذلك بكثير في المناطق البعيدة عنهم. وفي الغرب لم يكن روزفلت ولا تشرشل - وكلاهما سليل أسرة أرستقراطية - قد فرضا الثقة، ولم يحصلا عليها لا من العرب ولا من الصهاينة.

كان حاييم وايزمان - الزعيم اليهودي القوي الذي كان يتنقل بحرية بين الأغنياء والشخصية المتسلطة التي كانت أبواب قادة العالم مفتوحة لها على الدوام - عاجزا عن التصرف في ذلك الوضع.

أُجْبِر هؤلاء الرجال الثلاثة الذين تمكنوا مجتمعين من امتلاك سلطة عَسكرية ومالية وسياسية لم تحدث في الأساطير على السعي للفوز بمساعدة ملك الصحراء الذي كان في خيمته مرتاحا أكثر من ارتياحه فيما لو كان في أفخم القصور وأكبرها. لو وضع الملك عبدالعزيز آل سعود نفوذه دعما لتلك الخطة لنجحت وإلا لكان مصيرها الفشل؛ لأنه كان القائد العربي الوحيد الذي فرض على العالم الإسلامي والعربي احترامه وإجلاله. فقد صعد إلى أعلى مراتب السلطة بقوة إيمانه الراسخ بالله تعالى وبالإسلام، ثم بقناعته بسيفه الذي لا يغلب ولا يقهر. إن هذا العمل البطولي الفذ، والقدرة على ضمان سلامة الحجاج وهم في طريقهم إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة، والذي كان في عهود طويلة طريقاً محفوفة بالمخاطر، وكما كان حريصاً على مواساة الأرامل والعطف عليهن كافة في الوقت نفسه يكيل الجزاء الرادع السريع للعصاة، إن جميع هذه الأمور جعلته أسطورة حية في العالم العربي والإسلامي، وفي أماكن كثيرة أخرى.

مجلة فصلية محكمة تصدر عن دارة الملك عبدالعزيز
العدد الرابع شوال ١٤٢١هـ، السنة السادسة والعشرون
الدارة

ولكونهم معتادين على التعامل ببراعة مع الشخصية القوية والعظيمة تآمر تشرشل وروزفلت وايزمان على الملك عبدالعزيز.

وفي محادثة مع حاييم وايزمان في الحادي عشر من شهر مارس (آذار) من عام ١٩٤٢م عشية رحيله إلى الولايات المتحدة الأمريكية تحدث تشرشل عن خطته الرامية إلى أن يجعل من الملك عبد العزيز "زعيم الزعماء"، وأضاف قائلا: " إنه هو وروزفلت قادران على فعل أي شي إذا عقدا العزم على تنفيذه"[٧].

لكن الملك عبدالعزيز كان شخصية قُدَّتْ من قالب فريد من نوعه؛ إذ كان أميرا سعوديا ابن أمير، وكانت لديه غريزة خارقة للعادة في استشعار المؤامرات، وفي تحديد المتآمرين، وتأنٍ في الكشف عن أسرارهم والقدرة على توجيه الضربات لهم، لكنْ فقط عندما تستثيره غريزة غريبة. كان الملك عبدالعزيز قد شحذ فضائل صبره وفضائل التوقيت والتأني؛ إذ كان حاكماً لقبائل بدو متنقلة معتادة على شظف العيش ومره. وكان لديه إحساس شامل بالتاريخ. حكم أسلافه من آل سعود أصقاعاً مترامية من الجزيرة العربية، ولو لم تكن المكائد البريطانية تدبّر ضدهم؛ لتمكنوا من الإطاحة بالسلطان العثماني وإنزاله عن كرسي عرشه في الصدر الأعظم، ولتمكنوا من زرع نقاوة العقيدة الإسلامية وتقشفها في وسط الأناضول وقلبه. لكن الأتراك خسروا إمبراطوريتهم، وأخيرا خسروا سلطانهم في منطقة نجد.

سبق للملك عبدالعزيز أن رافق والده في منفاه الذي فرضه على نفسه، وبذلك ترك محبوبته الجزيرة العربية مؤقتا ليرجع إليها رجلا لا تزال معالم الصبا تعلو محياه، ليستعيد ملك أسرته، وليعيد القبائل العنيدة إلى العقيدة الإسلامية، وليوحد الجزيرة العربية، وذلك كان بمثابة عمل بطولي فذ لم يسبقه إلى تحقيقه إلا الرسول محمد ﷺ نفسه[٨].

(7) Philby, H. St. John, Arabian Jubilee, pp. 212-213.

(8) Habib, John S. Ibn Sa'ud's Warriors of Islam, Leiden, 1975.

قرر روزفلت وتشرشل ووايزمان أن يلعبوا لعبة الذكاء معه. إن الخطة التي في النهاية طرحها روزفلت وتشرشل على الملك عبدالعزيز كانت هي الخطة التي ادّعى فيلبي في إحدى المرات أنه الرأس المدبّر لها على الرغم من أن هناك شكوكا بأنه هو الذي ابتكر تلك الخطة. درس فيلبي الخطة مع حاييم وايزمان في لندن في الثامن والعشرين من شهر سبتمبر (أيلول) من عام ١٩٣٩م ونقل تفاصيلها إلى الملك عبدالعزيز في اليوم الثامن من شهر يناير (كانون الثاني) من عام ١٩٤٠م. وبعد انقضاء ثلاثة أشهر من دون جواب قام فيلبي بتذكير الملك الذي أجاب بشكل ملغز أو خفي المعنى، بأن الملك وجد من الصعب للغاية مساعدته في تحقيق "مبتغاه". فسّر فيلبي هذا على أنه توبيخ ودي لكونه اقترح اقتراحا بدا للملك على أنه خال كلية من الجوهر أو المضمون(٩).

ثم بيّن فيلبي سبب عدم عرضه الخطة أولا على الملك؛ وهو أن الملك عبدالعزيز أصر على أنه ليس لليهود حق تاريخي أو حق شرعي في فلسطين، ولكن بسبب الدعم الدولي الساحق فإن اليهود في النهاية سيأخذون فلسطين. ولهذا فإن خطته - حسب رأيه - ستحد من الخسائر العربية التي سيتكبدها العرب.

بموجب خطة فيلبي يمكن للملك عبدالعزيز أن يوافق علناً ويساعد في تطبيق ترحيل العرب كافة خارج فلسطين، وبهذا تسلّم فلسطين المطهرة دينيا وخلقيا إلى اليهود، ومن ثم يدفع اليهود إلى الملك عبدالعزيز عشرين مليون جنيه إسترليني لمساعدته في أموره، وتقوم بريطانيا وأمريكا بمنحه السيادة على الدول العربية الآسيوية كافة باستثناء عدن. سيتم العمل على جعله "زعيم الزعماء". وأضاف فيلبي: "وسوف أنبه، على حد علمي أنه ليس هناك مجال لعرض رشوة من أجل الحصول على موافقة عبدالعزيز على المشروع"(١٠).

(9) Philby, St. John, op. cit, p. 213.

(10) Philby, ibid.

إن المفاجئ حقاً أن رجلاً مثل وايزمان جرّبته الأيام، يمكن أن يصدق بأن خطة فُتحت سيرتها منذ سنوات عدة، يمكن أن تصبح ممكنة وقابلة للتطبيق. والمفاجئ أكثر أن يكون فيلبي قادراً في الواقع على أن يقنع الملك عبدالعزيز، إن هذا لغريب إن حدث.

لأول وهلة تبدو الخطة كابوساً سياسياً يتعلق بالمنطق الرمزي. إن القول بأنه يمكن لفرنسا أن تتخلى عن سيطرتها على سوريا ولبنان، وتتخلى بريطانيا عن العراق وفلسطين والأردن إلى ملك عربي من أجل مصالحها التجارية والإستراتيجية لهو قول يستدعي مخيلة نشطة لتقبل بذلك.

سبق لتشرشل نفسه أن شجب في البرلمان سياسة الحكومة في مصر، والتي فرضت أن تُستغل فلسطين لحماية المصالح البريطانية في قناة السويس، والتي كانت بدورها قد شجبت من قبل السياسي البريطاني الصهيوني؛ لأنها قضت على الحق الأدبي لليهود في فلسطين بربطها بالمصالح الإستراتيجية البريطانية(١١). وكون بريطانيا أحبطت أو تصدت لطموحات الملك عبدالعزيز المزعومة في الكويت والأردن، يمكن التصرف بهما ليعهد بهذين البلدين إلى الملك عبدالعزيز لهو شيء لا يمكن تصوره. وما هو ليس ممكنا بالطبع أن تشرشل وروزفلت مقتنعان أن بإمكانهما أن يجعلا من الملك عبدالعزيز دمية في أيديهما. وخلاف ذلك فإن الملك عبدالعزيز لن يقبل بتحمل عبء حكم هذه الدول العربية الممزقة سياسيا على نحو ميؤوس منه اجتماعيا واقتصاديا إثر عقود من الاحتلال البريطاني والفرنسي، والصراعات الطائفية العنيدة بين المسلمين والنصارى التي كانت تدور في تلك البلاد.

(11) Weizman, Chaim, Letters and Papers, vol. XXII, Series A, May-July 1947, p. 178.

لم يكن المقصود بادعاء فيلبي بخصوص العشرين مليون جنيه إسترليني أن تكون هناك رشوة، بل على العكس كان عادل آسيا هو الذي فسر ذلك الأمر على ذلك النحو.

تجدر الإشارة إلى أنه في الثامن والعشرين من شهر سبتمبر (أيلول) من عام ١٩٣٨م أي قبل عام من خطة فيلبي، كان الرئيس روزفلت قد اقترح إمكان حاجته إلى عشرين مليون جنيه لينفذ بها خطته الخاصة بأمر تهجير عرب فلسطين. وحسب رأي السيد رولاند لندسيه الذي ذكر أن الرئيس تحدث إليه عن برنامج حفر آبار عبر مناطق الأردن، وأن كميات كبيرة من الماء يمكن أن تصبح متوافرة للري ولإصلاح الأراضي التي يمكن أن تترك بعد إصلاحها لعرب فلسطين. يجب أن يمنح عرب فلسطين أرضا بالمجان، ويجب أن تكون تلك الأراضي واسعة لتجلبهم إليها، وإذا فشلت تلك المساحات في جذبهم فلا بد أن يجبروا على النزوح أو الهجرة إليها.

وهكذا يمكن أن يتم إخلاء فلسطين من ٢٠٠ ألف عربي. قدَّر روزفلت أن تكلفة هذا البرنامج تتراوح ما بين عشرين إلى ثلاثين مليون جنيه إسترليني(١٢).

ففي شهر ديسمبر (كانون أول) من عام ١٩٤٢م قال روزفلت لوزير المالية هنري مورجينتو: "إني بالحقيقة أضع أسلاكاً شائكة حول فلسطين، ويمكن أن أبدأ في ترحيل الفلسطينيين خارج فلسطين، ويمكن أن أبدأ في توفير أراض للفلسطينيين في بعض المناطق من الشرق الأوسط، وفي كل مرة ننقل فيها عربياً خارج فلسطين نبدأ في جلب أسرة يهودية أخرى، لكني لا أود أن أجلب إلى فلسطين من اليهود أكثر مما يمكنهم أن يؤمنوا الدعم الاقتصادي لهم يمكن أن تكون الدولة اليهودية دولة أمة مستقلة مثل أي أمة أخرى،

(12) Simon, Chaim Rabbi, op. cit., Proposals by Individual Non-Jews, Section 2, Roosevelt.

ومن الطبيعي أنه إذا كان هناك ٩٠٪ من اليهود فإن اليهود سيسيطرون على الحكومة، هناك أماكن عديدة يمكن لنا أن ننقل العرب إليها. إن كل ما عليك عمله هو حفر بئر لأن هناك مخزوناً كبيراً من المياه الجوفية، وبإمكاننا أن ننقل العرب إلى أماكن حيث يمكنهم العيش بالفعل"(١٣).

وفي اليوم الحادي عشر من شهر مارس (آذار) من عام ١٩٤٢م كشف تشرشل إلى حاييم وايزمان حقيقة أن "لدي خطة يمكن بالطبع أن تنفذ عندما تكون الحرب منتهية. أود أن أرى ابن سعود وقد جعلنا منه لوردا في الشرق الأوسط أو أن نجعله "زعيم الزعماء" شريطة أن يتوصل إلى تسوية معك. أبق هذا الأمر سرا لكن لعلك تود أن نتباحث في هذا الموضوع مع روزفلت عندما نذهب إلى أمريكا، ولا يوجد شيء لا نستطيع القيام به إذا وجهنا فكرنا نحوه"(١٤).

وبالفعل قام وايزمان بذلك، ففي رسالة بتاريخ الثالث عشر من شهر ديسمبر (كانون أول) من عام ١٩٤٢م موجهة إلى سومر ويلز، وهو مسؤول كبير في وزارة الخارجية الأمريكية في عام ١٩٤٣م كتب وايزمان يقول:

" مما لا شك فيه أنك تتذكر أنه خلال حديثي معك أشرت إلى خطة تتعلق باتفاق عربي يهودي كان السيد جون فيلبي أصلا قد قدمها لي وهو الرحالة المشهور في الجزيرة العربية، والباحث والصديق الشخصي للملك ابن سعود. هذا ما كررته باختصار إلى الرئيس عندما كان لي الشرف اللقاء به. هل تسمح لي بأن أذكرك بالخطوط الرئيسة الواردة فيه؟ يتوجب على العرب أن يتخلوا عن فلسطين غرب الأردن إلى اليهود، وإذا كان الثمن على ذلك النحو، فيحقق الاستقلال التام لهم في الأماكن الأخرى كافة في آسيا.

(13) Ibid.

(14) Philby, op.cit.

يتصور السيد فيلبي حدوث موجات ترحيل كبيرة من السكان العرب، ويرتئي تعويضات لهم يتم دفعها إلى ابن سعود تصل إلى عشرين مليون جنيه إسترليني"(١٥).

لم يكن الدبلوماسيون في وزارة الخارجية الأمريكية مقتنعين بأن الملك عبدالعزيز سيوافق على خطة الترحيل هذه.

وفي مذكرة بتاريخ الرابع من ديسمبر (كانون أول) من عام ١٩٤٢م مرسلة إلى موريه كتب مستشار العلاقات السياسية ومساعد مدير الخارجية سومر ويلز يقول:

"تلقيت عصر هذا اليوم خبر زيارة الدكتور حاييم وايزمان. إن الدكتور وايزمان تواق لإجراء مباحثات مع بعض موظفي وزارة الخارجية تتناول الاحتمالات المستقبلية لفلسطين. وأطلعني - لمعلوماتي الشخصية - بأن السيد تشرشل أوضح له أنه يرغب في جعل ابن سعود" زعيم الزعماء " في العالم العربي مع الأخذ بعين الاعتبار بأنه يمكن تحقيق هذا الأمر إذا كان ابن سعود راغباً في التعاون مع الدكتور وايزمان على ترتيب حل معقول للقضية الفلسطينية. وأضاف أن السيد تشرشل أطلعه أيضا أن الرئيس فرانكلين روزفلت على وفاق بخصوص هذا الموضوع. عليّ أن أشير إلى أن الرئيس لم يسبق له أن تحدث لي عن هذا الأمر"(١٦).

كتب السيد موريه مذكرة جوابية للسيد ويلز بتاريخ ١٧ ديسمبر (كانون أول) من عام ١٩٤٢م جاء فيها:

أولا أشير إلى رغبة السيد تشرشل في جعل ابن سعود " زعيم

(15) Weizmann, op.cit., vol. XXI, Series A, Jan. 1943-May 1943, p. 108-109.

(16) FRUS, Memorandum from Undersecretary of State, Sumner Welles to Political Advisor, Murray, 04 December 1942.

الزعماء " في العالم العربي، مع الأخذ بعين الاعتبار أنه يمكن تحقيق هذا الأمر لو كان ابن سعود راغباً في التوصل مع الدكتور وايزمان إلى حل معقول للقضية الفلسطينية. وفي هذا الخصوص خطرت على بالي ثلاث أفكار:

١ - أتساءل إذا كان من الممكن جعل ابن سعود "زعيم الزعماء" في العالم العربي على أساس أنه سبق له أن أصبح سيد قلب العالم العربي في شبه الجزيرة العربية وذلك بكد يمينه وليس بترتيب من قبل البريطانيين "، ثم أشار إلى أنه سبق للبريطانيين أن أخطؤوا التقدير بدعمهم للشريف حسين الذي أجبره الملك عبدالعزيز في نهاية المطاف على الذهاب إلى المنفى في قبرص. كتب موريه يقول:

"ونظرا لتعاقب الأحداث هذه، فإنه لمن المشكوك فيه أن يستسيغ ابن سعود اقتراحا مفاده أن البريطانيين سيوصلونه إلى مركز الصدارة، والذي كما سبق أن أشرت أحرزه لنفسه من دون مساعدتهم أو دعمهم المالي. إذا كان السيد تشرشل يقصد بمصطلح "العالم العربي" كل الأراضي التي يسكنها الشعب العربي فيبدو لي أن أي خطط لجعل ابن سعود " زعيم الزعماء " في كل هذه المناطق ستكون غير واردة، وأن ابن سعود نفسه سيكون أول من يقول ذلك " .

٢ - وبخصوص احتمال توصل الملك ابن سعود إلى اتفاق مع الدكتور وايزمان بشأن ترتيب حل معقول للقضية الفلسطينية، يبدو لي أن ذلك يعتمد ولحد كبير على ما يفسره الدكتور وايزمان الصهيوني المتشدد بعبارة "معقول": "إنه من الصعب جدا في ظل الظروف الراهنة ووفق أي تقدير الاعتقاد بأن ابن سعود جاهز لقبول أي اتفاق بخصوص إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين يمكن أن يكون أيضا مقبولا للدكتور وايزمان وللصهاينة وفق

عقليتهم الحالية... إنني لا أجد سببا يمنع من البدء في بداية جديدة تتناول مثل هذه المحادثات بين الملك ابن سعود والدكتور وايزمان خاصة إذا كان بالإمكان تقديم ضمانات مهمة ذات طبيعة سياسية إلى الملك سلفاً. من المؤكد تقريبا أن مثل هذه الضمانات ستستوجب التعهد بتبرئة الصهيونية السياسية في المستقبل ونكران أية فكرة خاصة بالسيطرة اليهودية على قسم كبير من العرب والتي يمكن أن تنجم عن الهجرة اليهودية غير المحدودة إلى فلسطين"(١٧).

ومع ذلك أصر روزفلت على موقفه. وبناء على طلبه في السابع من شهر يوليو (تموز) من عام ١٩٤٣م قام وزير الخارجية هول بإرسال الكولونيل هارولد هوسكنز ليوضح لابن سعود إمكانية لقائه بحاييم وايزمان. وإذا كان ذلك غير ممكن فهل بالإمكان أن يكلف ممثلا عنه للتحدث مع وايزمان. كان وايزمان قد اعترض على اختيار هوسكنز الذي عده ذا موقف غير ودي تجاه الصهيونية(١٨).

كتب هوسكنز في مذكرة بتاريخ الحادي والثلاثين من شهر أغسطس (آب) من عام ١٩٤٣م تقريرا عن المحادثات التي أجراها مع الملك دون حضور أي طرف ثالث. كان هوسكنز يتحدث اللغة العربية، وسبق له أن أقام علاقة صداقة شخصية مع الملك، وبهذا الجو كان يمكن للمحادثات أن تكون صريحة وغير رسمية. قال هوسكنز:

"ذكر الملك أنه يريد من الرئيس الأمريكي ومن وزارة الخارجية الأمريكية أن تطلع على أفكاره بالقدر الممكن. وأنه يرحب بالفرصة التي يعرب فيها عن آرائه وخاصة لشخصية مرسلة من واشنطن

(17) FRUS, Memorandum from Murray to Sumner Welles, 17 December 1942, letter 106, p. 108.

(18) Weizman, Chaim, Papers and Letters, Vol. XXI, Series A, January 1943-1994, p. 109.

وعائدة إلى هناك مباشرة. أجاب الملك بشكل محدود على السؤالين، الأول: هل من الممكن لابن سعود أن يتقابل مع حاييم وايزمان لمناقشة المشكلة الفلسطينية والتوصل إلى حل بينهما ؟ والثاني: في غياب إمكانية لقاء وايزمان شخصيا هل يمكن للملك أن يكلف ممثلا عنه ليتحدث إلى وايزمان؟ ".

واستمر هوسكنز يقول:

"استنادا إلى مبادئه (ابن سعود) الدينية والوطنية فهو يعكس إحساسه السياسي السليم في إدراك حدود إمكانياته الروحية والجسدية المرتبطة بهذا الموضوع. فهو يدرك أنه - على الرغم من مكانته القيادية في العالم العربي - لا يستطيع من دون مشاورات مسبقة التحدث نيابة عن الفلسطينيين، والأكثر من ذلك لا يستطيع تسليم فلسطين إلى اليهود حتى لو أنه كان راغبا ولو للحظة واحدة في دراسة مثل هذا الاقتراح".

"استمر صاحب الجلالة في توضيح سبب كرهه الشخصي للدكتور وايزمان، وكنت أول شخص يعبر له عن ذلك. قال: إنه خلال السنة الأولى للحرب العالمية الراهنة قام الدكتور وايزمان بطعن نزاهة الملك، والتشكيك في نوازعه بقيامه بعرض رشوة متعمدة مقدارها عشرون مليون جنيه إسترليني. علاوة على ذلك، فإن الوعد بالدفع الذي اطلع الملك عليه كان بضمان من الرئيس روزفلت. قال جلالته: إن ذلك العرض أثار سخطه الشديد، وزاد من حدة ذلك إقحام الرئيس روزفلت في مثل هذه القضايا المشينة لدرجة أنه لا ينوي ذكرها مرة ثانية. وهكذا شرح الملك الأمر بالتفصيل، وأفصح لي عن اسم الوسيط وهو جون فيلبي؛ لكي أفهم بوضوح أكثر الأسباب التي تجعله غير راغب في التعامل مع الدكتور وايزمان أو التعامل مع أي من أقرانه"(١٩).

(19) FRUS, 1943, Vol. IV Memorandum by Lt. Col. Harold Hoskins, 31 August 1943, pp. 808-809.

خرج وايزمان، وكان على روزفلت أن يحاول هو بنفسه. قابل الملك عبدالعزيز الرئيس روزفلت على ظهر السفينة الأمريكية كوينسي الراسية في البحيرات المرة في مصر في شهر فبراير (شباط) من عام ١٩٤٥م، استضافه الأمريكيون متجاهلين الأنظمة العسكرية البحرية المتشددة. نصبت له خيمة، وسمح بجلب كبش حي وأنواع أخرى من الأطعمة غير المعتادة في البحرية الأمريكية إلى ظهر السفينة. وفي الرابع عشر من شهر فبراير (شباط) أثار الرئيس روزفلت قضية فلسطين الحساسة مع ابن سعود، ووفق المدونة الرسمية الصادرة عن وزارة الخارجية الأمريكية بخصوص ذلك اللقاء ورد ما يأتي:

"سأل الرئيس جلالة الملك عن رأيه ومشورته بخصوص مشكلة اللاجئين اليهود الذين طردوا من ديارهم من أوروبا. أجاب جلالته أنه يرى أن يعود اليهود للعيش في الديار التي طردوا منها. وقال: إنه يجب تأمين أماكن عيش في مناطق دول المحور وذلك لليهود الذين دمرت منازلهم تماما، والذين لم يعد أمامهم فرص لكسب العيش. فدول المحور هي التي اضطهدتهم. عقَّب الرئيس بأن بولونيا يمكن أن تكون من بين تلك المناطق. يبدو أن الألمان قتلوا ثلاثة ملايين يهودي بولوني ووفق ذلك التقدير لا بد أن تكون في بولونيا مساحة كافية لإعادة توطين العديد من اليهود المشردين. بعدها شرح الملك قضية العرب، وتحدث عن حقوقهم المشروعة في أوطانهم، ولفت النظر إلى الخطر المتزايد الذي يهدد الوجود العربي، والأزمات التي نجمت عن استمرار الهجرة اليهودية وشراء الأراضي.. وبين جلالته أن آمال العرب ترتكز على كلمة شرف صادرة عن الحلفاء، وترتكز على حب الولايات المتحدة الأمريكية للعدل المعروف للجميع، كما ترتكز على توقعاتهم بأن الولايات المتحدة ستدعم موقفهم.

أجاب الرئيس روزفلت بأنه يود أن يؤكد لجلالته أنه لن يفعل شيئا لمساعدة اليهود ضد العرب، وأنه لن يقوم بأي تصرف عدائي تجاه الشعب العربي. وذكر جلالته أنه من المستحيل إيقاف أو منع الكلمات والقرارات في الكونجرس الأمريكي أو في الصحافة والتي يمكن أن تُكتب أو تُقال بحق أي طرف. جاءت تأكيداته لتؤكد على سياسته المستقبلية بوصفه رئيساً تنفيذياً للولايات المتحدة الأمريكية"(٢٠).

أكد الرئيس روزفلت على هذا الوعد في رسالة خطية بعث بها إلى الملك عبدالعزيز:

واشنطن، الخامس من إبريل (نيسان) ١٩٤٥م.

صديقي الطيب والعظيم، تلقيت رسالتك التي أرسلتها لي بتاريخ العاشر من مارس (آذار) لعام ١٩٤٥م والتي أشرت فيها إلى موضوع فلسطين، وإلى موضوع اهتمام العرب المستمر بالتطورات الراهنة التي تؤثر في ذلك البلد.

يسعدني - يا صاحب الجلالة - أنك انتهزت هذه المناسبة لتطرح وجهات نظرك بخصوص هذه المشكلة علي، وأنني أوليت جل اهتمامي للتصريحات التي جاءت في رسالتك. كما أنني واع تماما للحوار - الجدير بأن يذكر - الذي دار بيننا منذ فترة قصيرة والذي من خلاله أتيحت لي فرصة الحصول على انطباع قوي خاص بمشاعر جلالتكم الوجدانية تجاه ذلك الموضوع.

تتذكرون - يا صاحب الجلالة - أنه في مناسبات سابقة ذكرت لكم موقف الحكومة الأمريكية تجاه فلسطين، وأوضحت رغبتنا بأنه لن يتخذ أي قرار بخصوص الوضع الأساسي في ذلك البلد من دون

(20) FRUS, Vol. VIII, 1945, Memorandum of Conversation Between the King of Saudi Arabia and President Roosevelt, 14 February 1945.

إجراء مشاورات كاملة مع العرب واليهود على حد سواء. وتتذكرون – يا صاحب الجلالة، بدون أدنى شك – أنه خلال المحادثات التي دارت بيننا مؤخرا أكدت لكم بأنني لن أتخذ أي إجراء بصفتي رئيس الجهاز التنفيذي لهذه الحكومة من شأنه أن يقوي العداء للشعب العربي. يسعدني أن أجدد لجلالتكم الضمانات التي سبق لكم أن تلقيتموها بخصوص تصرف حكومتي وتصرفي الشخصي لكوني رئيساً للجهاز التنفيذي فيما يخص مسألة فلسطين، ويسعدني أن أبلغكم أن سياسة هذه الحكومة بهذا الخصوص ثابتة ولم تتغير.

أود في هذا الوقت أن أرسل أحر أمنياتي بدوام الصحة الجيدة لجلالتكم والرفاهية لشعبكم.

صديقك الحميم

فرانكلين روزفلت(٢١)

يرجع تاريخ عبارة " دون تشاور كامل مع العرب واليهود " إلى شهر يونيو (حزيران) من عام ١٩٤٢م إذ حثت في ذلك الوقت وزارة الخارجية الأمريكية على إصدار عبارة ملحقة " إما بشكل انفرادي أو بالتعاون مع البريطانيين. جاء ذلك في بيان حول السياسة المتعلقة في فلسطين والتي يمكن أن يكون الهدف منها درء الضغوط عن كلا الجانبين إلى ما بعد انتهاء الحرب. ويمكن أيضا أن يكون هذا البيان قد جاء ليكشف أنه لا يجوز التوصل إلى تسوية من دون التشاور مع العرب واليهود ". كانت هناك حاجة لمثل هذا البيان "لأن انعدام سياسة واضحة ومحددة تجاه فلسطين من قبل الولايات المتحدة الأمريكية يمكن أن يسهم بشكل ملموس في زيادة عدم

(21) FRUS, Vol. VIII, 1945, page 698, Letter from Roosevelt to Ibn Saud, April 5,1945.

استقرار الوضع السياسي في الشرق الأدنى، وبالتحديد يسهم في استمرار التوتر بين العرب واليهود"(٢٢).

فشل الرئيس روزفلت في إقناع الملك عبدالعزيز بقبول خطة الترحيل ونقل الفلسطينيين. عندما سمع تشرشل بخطة روزفلت للقاء الملك عبد العزيز أصر على أن يحضر ذلك اللقاء ممثل عنه؛ لأن المملكة العربية السعودية كانت تقع في إطار المصالح البريطانية، وإذا تم رفض ذلك فإنه يصر على ترتيب لقاء شخصي مع الملك. وافق الملك عبدالعزيز على أن يلتقي تشرشل لكن بعد أن يضمن موافقة روزفلت فقط؛ لأنه سبق أن سافر إلى مصر للقاء الرئيس، ولم يرغب في أن يبدي أي مظهر من مظاهر عدم اللياقة لمضيفه الأساس. وفعلا تم اللقاء بينهما في إحدى واحات الفيوم في مصر لكن لقاء تشرشل مع الملك لم يكن طيبا.

ومع أن البريطانيين حاولوا أن يتميزوا عن الأمريكيين بأنهم أعادوا الملك إلى المملكة العربية السعودية على ظهر طراد بحري، في حين أن الأمريكيين سبق أن استقبلوه في قناة السويس على ظهر مدمرة بحرية إلا أن ذلك لم يؤثر في مشاعر الملك تجاه البريطانيين كما أنه لم يتردد في إظهار تلك المشاعر. تذمر الملك من أن طعام البريطانيين كان خالياً من أي طعم، ولم تكن هناك أية استعراضات عسكرية، ولم تنصب له خيمة على ظهر الطراد، وأن طاقم الطراد لم يتآخوا مع العرب، وعلى أية حال، فهو فضل القارب الأمريكي وإن كان أصغر لكنه كان وديا(٢٣).

(22) FRUS, Vol. VIII, 195, pp. 698-700, Memorandum by the Deputy of the Office of Near Eastern and African Affairs (Alling) to the Assistant Secretary of State (Dunn).

(23) FRUS, Vol., VIII, 1945, Memorandum from Minister in Saudi Arabia (Eddy) to the Secretary of State, March 10, 1945, page 689.

"في العشرين من شهر فبراير (شباط) من عام ١٩٤٥م استدعى جلالته وليام إيدي المبعوث الأمريكي ليجري معه حديثاً خاصاً. اجتمع الاثنان وحدهما من دون وجود حارس شخصي. أراد الملك أن تعلم الحكومة الأمريكية ما دار بالضبط في المحادثات التي أجراها مع تشرشل حول قضية فلسطين. ووفق ما جاء على لسان الملك: فتح تشرشل الموضوع بثقة ملوحا بعصا غليظة بشكل فعلي. سبق لبريطانيا العظمى أن دعمتني على مدى عشرين عاما، وأسهمت في تحقيق الاستقرار في منطقتي بصدها الأعداء عن جبهاتي. وطالما أن بريطانيا سبق أن ساعدتني في أيامي الصعبة فيحق لها الآن أن تطلب مساعدتي في المشكلة الفلسطينية حيث يكون بإمكان قائد عربي قوي أن يحجم عناصر متشددة، ويصر في المجالس العربية على موقف الاعتدال، وأن يفرض تسوية واقعية مع الصهاينة. يجب أن يكون كلا الطرفين مستعدين لتقديم تنازلات، وأن تشرشل يتطلع إليّ لأساعد في التحضير للتنازلات العربية. كان جوابي - كما يعرف تشرشل ذلك حق المعرفة - أنه لم يسبق لي أن أخفيت امتناني لبريطانيا العظمى، وكنت دائما صديقا على استعداد لتقديم المساعدة، وأنني سأكون دائما مستعدا لمساعدة بريطانيا والحلفاء ضد أعدائهم. وقلت لتشرشل: إن ما اقترحه لم يكن مساعدة لبريطانيا أو للحلفاء، بل هو تصرف خيانة للرسول ﷺ ولكل المسلمين المؤمنين، وهو أمر يسيء لشرفي، ويدمر روحي. لا يمكنني أن أذعن لتسوية مع الصهاينة، والأكثر من ذلك لا يمكنني أن أقوم بأي مبادرة بذلك الخصوص، إضافة لذلك قلت: إنه يمكن لي أن أفعل ذلك فقط في ظروف منافية للطبيعة وللمنطق. وإن ذلك لن يكون معروفا أقدمه إلى بريطانيا طالما أن دعم الصهاينة من قبل أي مصدر لا بد أن يسفر عن حمام دم، وعن انتشار عارم للفوضى في الأراضي العربية، الأمر الذي لا فائدة فيه لا للبريطانيين ولا لأي شخص آخر. عندها

وضع تشرشل عصاه الكبيرة جانبا، وبدوري طلبت منه ضمانات بأن تتوقف الهجرة اليهودية إلى فلسطين. رفض السيد تشرشل أن يعدني بذلك، علما بأنه أكد لي بأنه سيعارض أية خطة هجرة يمكن أن تؤدي إلى طرد العرب خارج فلسطين أو تحرمهم من سبل كسب عيشهم.

ذكرت تشرشل بأن الحلفاء يمكن أن يختاروا بين أمرين:

١- عالم عربي صديق هادئ مسالم.

٢- صراع حتى الموت بين العرب واليهود إذا تجددت هجرة اليهود غير المعقولة إلى فلسطين. على أية حال يجب أن يتم التوصل إلى صيغة بالتعاون مع العرب وبموافقتهم.

وليام إدي الوزيرالمفوض الأمريكي في جدة"[٢٤].

نجح الملك عبدالعزيز في إقناع الرئيس روزفلت ليكون عادلا مع العرب الفلسطينيين، ليس لأجل قضيتهم فحسب ولكن من أجل السلام أيضا في الشرق الأوسط. ولكن موت روزفلت وتولي ترومان الرئاسة الأمريكية أنهى أي أمل في تحقيق ذلك، خاصة إذا أخذنا في الحسبان تلك الضغوط الشديدة التي قام بها الصهيونيون ومؤيدوهم الأمريكيون على ترومان. وتشير الأدلة الى أن ترومان كان ينوي المحافظة على وعد روزفلت، ولكن الملك عبدالعزيز وجه تساؤلا في أكتوبر ١٩٤٥م إلى واشنطن بشأن تصريح نسب إلى ترومان أنه لم يجد ما يثبت من محادثات بين روزفلت والملك عبدالعزيز بخصوص فلسطين، وطلب الإذن لجلب المذكرة والرسالة من روزفلت[٢٥].

المحادثة الآتية بين وزير الخارجية بيرنس والسفير البريطاني اللورد هاليفاكس تدل على الارتباك الذي أحدثته وفاة روزفلت:

بيرنس: "ترومان قلق بشكل كبير من هذا. بالطبع عندما وقع ترومان تلك الرسائل - وقع رسالة تماثل بشكل كبير رسالة روزفلت -

(24) FRUS, Vol., VIII, 1945, October 2,1945, p. 755.

(25) FRUS, Vol. VIII, 1945, Palestine, p.779.

بعدما تولى الرئاسة في الحال، وقدمتها وزارة الخارجية بواسطة السيد جرو".

اللورد هالفاكس: "هل كتب إلى الملك ابن سعود ؟".

بيرنس: " لا، ولكنه كتب لعرب آخرين، على الأقل رسالة واحدة، أو رسالتين. لذا كان ترومان مرتبكا. لو أصدر ذلك التصريح اليوم فإنني لا أعتقد أنه سوف يصدره ".

اللورد هاليفاكس: " ولكنها لا تزال رسالة ترومان...".

بيرنس: "لا أعتقد أنه سوف يؤيد أي عمل دون حساب خاص، ودون التشاور مع العرب واليهود. ولا أرى أي ضرر في ذلك"(٢٦).

لم يكن الملك عبدالعزيز معارضا للتوصل إلى تسوية، بل كان معارضا لاغتصاب الحقوق الثابتة؛ ولأنه رجل واقعي على الصعيد السياسي كان يدرك أن الاستهتار في حقوق شعب بكامله لتحقيق مغانم سياسية يمكن أن يخلق مشكلة التحرير الوجودي للأجيال اللاحقة.

استخدم روزفلت وتشرشل ووايزمان نفوذهم القوي، ودهائهم السياسي، لكنهم لم يستخدموا سياسة رجال الدولة. إن رجال الدولة لا يساومون على المستقبل من أجل مكاسب أمنية، كان الملك عبدالعزيز رجل دولة، عارض خطط التهجير التي أعدها الأقوياء من غير مكاسب شخصية. تبادل معهم رؤيته الخاصة حول شرق أوسط مضطرب خاصة إذا فرضوا تصوراتهم الخاطئة على المنطقة.

التحذيرات التي أطلقها الملك عبدالعزيز بالأمس جاء صداها على شكل مأساة تتلى ابتهالاتها اليوم

إن التحذيرات التي أطلقها الملك عبدالعزيز بالأمس جاء صداها على شكل مأساة تتلى ابتهالاتها اليوم.

اليوم أصبح بعض الفلسطينيين لاجئين، وبعض منهم يعيش على

(26) FRUS, Vol. VIII, 1945, Palestine, President Truman Letter to the Amir Abdullah of Trans-Jordan, p. 707.

أرضه في دولة يهودية، وآخرون يعيشون تحت الاحتلال الإسرائيلي واضطهاده.

اليوم تدور دوامة العنف في فلسطين تحت الضغوط الإسرائيلية، وتهدد بأن يشمل سعيرها المنطقة برمتها. واليوم أصبحت المصالح الغربية مهددة في كل أرجاء العالم.

اليوم أصبح اليهود الذين لم يتمكنوا من العودة إلى ديارهم في أوروبا والعيش بسلام وأمان، يعيشون في أحياء محصنة تعاني من المعارك. وعلى الرغم من قواتهم المسلحة العتيدة، وشُعب الاستخبارات المنتشرة في كل مكان، والدعم الدبلوماسي والمالي غير المحدود، والممارسة الفعلية لحق النقض في مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة، فإن اليهود اليوم لم يسبق لهم أن عاشوا ظروفا في أي مكان في العالم أقل طمأنينة وراحة بال مما هم عليه اليوم.

اليوم اليهود في كل مكان أقل شعورا بالأمن ذهنيا وجسديا. ورغبة الملك عبدالعزيز القوية في وجه الضغوط الدولية كانت تؤكد على بقاء الفلسطينيين في أراضيهم. وكما قال إليوت ابن الرئيس روزفلت: " لقد كان والدي يأمل في أن يتمكن من إقناع ابن سعود بحق توطين عشرات الآلاف من اليهود في فلسطين، وبدلا من ذلك انتهى روزفلت إلى الوعد بأنه لن يتخذ تحركا معاديا للشعب العربي"(٢٧).

وأخبر الرئيس المريض فيما بعد السيد برنارد باروش: "من بين كل الرجال الذين تحدث معهم في حياته، لم يتمكن من تحقيق أقل ما يرضي من هذا الملك العربي صاحب الإرادة القوية"(٢٨).

(27) Roosevelt, Elliot, As He Saw It, page 245, Quoted in Beatty, John, Iron Curtain Over America, Chapter IV.

(28) Ibid.

ونتيجة لإرادة الملك عبدالعزيز - رحمة الله - القوية فإن وجود الملايين من الفلسطينيين في فلسطين هو حقيقة عربية وإسلامية في يومنا هذا، وليس من ذكريات ماضي الأمس.